الالتفات الدلالي
للجملة في سياق القصة القرآنية

د. عدنان خالد فضل المرابحي
الدوسري
جامعة تكريت - كلية الآداب
قسم اللغة العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص البحث

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى اله وصحبه.

أمّا بعد:

فإنّ القصة في القرآن الكريم وُجدت لإقناع الأفهام، وإمتاع الأذهان وإيصال العبرة إلى الناس أو المُخاطبين؛ ولذلك اتخذت القصة القرآنية منهجاً خاصاً بها في السرد وعرض الأحداث يتفرد من خلاله الأسلوب القرآني، وهو يتمتع بميزات عديدة، منها الترتيب الزمني، وعدم ذكر الضروري من الأحداث، والإيجاز في التعبير، وغيرها. ومن ابرز العناصر الأسلوبية في القصة القرآنية هو الالتفات، فهو الانتقال من أسلوب إلى آخر سواء أكان من خلال الضمائر أم الجمل أم الشخصيات. وفي هذا البحث المقتضب سنتناول جانباً خاصاً من هذا الالتفات في سياق القصة القرآنية، وما يوحيه من دلالات مهمة ظاهرة أو خفية –غاية في الدقة– تغني النص القرآني بشكل عام، والقصة القرآنية بشكل خاص. وهو الالتفات الحاصل بين الجمل المعطوفة أو المنسوقة في سياق واحد –أي سياق القصة القرآنية– ولكن هذه الجمل المنسوقة أو المتوالية ذات دلالات مهمة مختلفة، أو تشير إلى شخصيات مختلفة في القصة، أو ترجع إلى شخصيات مختلفة، فهي مترابطة بشكل يصعب معه تمييز قائلها أو مرجعيتها الدلالية. ومغزى ذلك الالتفات الدلالي أنه يأتي بغير المتوقع لدى القارئ أو السامع؛ فيؤدي إلى حالة من التيقظ الذهني والنشاط العقلي، ويبعد عن المتلقي ما قد يصيبه من ملل؛ نتيجة السير على نمط واحد من أنماط التعبير مع شيء من الغموض. ومن خلال تتبع أسلوب

القصة في القرآن الكريم وجدنا أن هذا الالتفات قد جاء على ثلاث صور، الأولى هي: الالتفات السياقي للجمل، ونقصد به هو أن الجمل في ذلك السياق تتحدث او تشير إلى مقصود معين ثم يُلتفت عن المقصود في جميع تلك الجمل إلى شيء آخر لم يذكر في جميع جمل السياق السابقة، كما في قصة طالوت وجالوت مع النبي داود ﷺ.

والثانية هي الالتفات في عودة الضمير في الجمل، والمقصود بذلك أن الضمير في جملة أو أكثر من جمل السياق يعود على غير ما تعود عليه الضمائر الواردة في جمل السياق الأخرى؛ إذ إنه يشير إلى شيء آخر مذكور أو غير مذكور في ذلك السياق. وهذا من المواطن المميزة من الالتفات في سياق القصة القرآنية. كما في قوله تعالى: چ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ چ (سورة يوسف : ١٩ - ٢٠)

فالناظر إلى ظاهر السياق يرى أن جميع الجمل فيه تعود دلالتها أو تتحدث عن السيارة الذين أرسلوا واردهم، ووجدوا يوسف ﷺ في الجب؛ ولا يحس بأن هناك التفاتاً خفياً في عودة الضمير في جملة قوله تعالى : (ﮥ ﮦ ﮧ) وما بعدها؛ إذ يعود فيها الضمير في (شروه) على غير ما يعود عليه في الجمل التي سبقتها، فهو يعود على أخوة يوسف الأحد عشر، فبينما كان السياق يتكلم عن السيارة انتقل ملتفتاً إلى أخوة يوسف.

وأما الثالثة فهي الالتفات الحاصل في جمل مقول القول. ونقصد بهذا الالتفات أن القصة القرآنية تورد كلام شخص ما أو تنسب كلاما لشخص ما، ثم تنتقل إلى كلام شخص آخر، من دون أن تبين ذلك الانتقال، ثم يعود السياق مرة أخرى – أو لا يعود– إلى كلام الشخص الأول. وهو من الالتفات الخفي الذي فيه شيء من الغموض، لا يكاد يقع عليه القارئ أو المتلقي؛ وذلك للاتصال الشديد الحاصل بين الجمل. وهو من السمات الأسلوبية المميزة في سياق القصة القرآنية.

ومن مواضع ذلك الالتفات ما ورد في سياق سورة الأعراف في قصة موسى ﷺ وفرعون إذ قال تعالى: چﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ چ سورة الأعراف

فالظاهر من السياق أن جميع الجمل الواردة فيه هي من قول الملأ، ولكن هناك التفات في جملة (فماذا تأمرون) إذ هي ليست من كلام الملأ، بل هي من قول فرعون الذي ذكرت جملته ولم يذكر هو.وهو من الأساليب التي يتبعها القرآن في نهج بلاغته، حيث يعتمد

في مواضع كثيرة على ذكاء المتلقي وفطنته؛ فيحذف من الجمل ما لا يستدعيه سياق القصة، وما يستطيع القارئ أن يدركه، ولو بلمحة سريعة، مع تفاوت في درجات ذكاء المتلقين.

وكان لهذا الالتفات الأثر الواضح في تنوع دلالي تميزت من خلاله مدلولات دقيقة جدا ،على خلاف ظاهر اللفظ وعلى خلاف المتوقع من القارئ أو المتلقي. فللقرآن مكانة خاصة في إيصال المعاني وتمكينها من نفس المتلقي وبصور عديدة عبر تطويع كل إمكانات اللغة المتاحة لهذا الغرض، وقد أضاف إمكانات كبيرة للغة بالمفهوم الجمالي والتركيبي، مع استحداث طرائق فنية عديدة؛ للربط بين المفردات والجمل وبين الجمل والعبارات في السياق نفسه أو في السياقات المختلفة؛ مؤدياً بذلك دلالات اتسمت بالتنوع والكثرة بما يتلاءم وأغراضه عامة، و ما يتصل بالقصة القرآنية ومقاصدها خاصة

وتوصل البحث أيضا إلى أن هناك جملاً لا يمكن معرفة دلالتها أو المقصود فيها أو قائلها – ولاسيما في أسلوب القصة القرآنية– حتى بالرجوع إلى سياقاتها؛ وذلك لخروج الجملة فيها عن مقتضى الظاهر، أو ما يدعى أسلوبياً بخروج ظاهر اللفظ عن معناه؛ فنحتاج إلى الرجوع معها إلى آراء العلماء والمفسرين فضلاً عن إعمال عقل المتلقي في التفكير بقائلها –وهي مع ذلك واضحة الدلالة– إذ إنها لم تفصل عن تاليتها؛ لإيضاح قائلها أو المقصود منها؛ فيغدو المتلقي بذلك طرفاً ثالثاً في القصة أو الحوار، ويتمتع بفاعلية تأثيرية في محاكمة العقل في معاني الجمل، وفي الاستمتاع بجمالياتها. وكما بينا في مواضع الالتفات الدلالي في الأمثلة التي عرضناها في سياق القصة القرآنية. يضاف إلى ذلك أنه يمكن أن تتعدد أو تتنوع الدلالة للجملة القرآنية تبعاً للقراءة القرآنية؛ فإذا تعددت القراءة القرآنية تنوعت الدلالة، ويمكن أن يتغير الحكم الشرعي تبعاً لذلك، كما لاحظنا في سياق قصة الهدهد مع نبي الله سليمان عليه السلام.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين.

إنَّ الحَمَدَ للهِ نِحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وِنَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد:

فإنّ القصة في القرآن الكريم وُجدت لإقناع الأفهام، وإمتاع الأذهان وإيصال العبرة إلى الناس أو المُخاطبين، مؤمنين أو مشركين؛ لكنها لم تشأ أن توصلها بشكل مباشر أو بطريقة سردية جامدة لا روح فيها ولا حركة فاختارت أقرب المجالات إلى العقل البشري وأقرب المؤثرات إليه وأشدها فعلاً فيها؛ وهو البيان، وهو السبيل الأنضج لبلوغ قمة التأثير ، ومتى بلغ التأثير قمته في النفس البشرية، كان الدافع الأساس لسلوكياتها جميعها لذلك فهي من العوامل المهمة في إعجاز القرآن .

واتخذت القصة القرآنية منهجاً خاصاً بها في السرد وعرض الأحداث، يتفرد من خلاله الأسلوب القرآني، وهو يتمتع بميزات عديدة، منها الترتيب الزمني، وعدم ذكر الضروري من الأحداث، والإيجاز في التعبير عن الأحداث ، والإكثار أو التقليل من فعل القول بحسب ما يقتضيه المقام، وربط الأحداث المفردة بالغايات والآيات من خلال اختيار الجمل المناسبة، فضلاً عن عوامل الربط الأخرى ولاسيما اللغوية والأسلوبية منها[1]، ومن أَبرز العناصر الأسلوبية في القصة القرآنية هو الالتفات أو العدول، إذ إنَ العدول ما هو إلا التفات، فهو الانتقال من أسلوب إلى آخر سواء أكان من خلال الضمائر أم الجمل أم الشخصيات، أم أي عناصر أَخرى[2].

وفي هذا البحث المقتضب سنتناول جانباً خاصاً من هذا الالتفات[3] في سياق القصة القرآنية، وما يوحيه من دلالات مهمة ظاهرة أو خفية – غاية في الدقة– تغني النص القرآني بشكل عام، والقصة القرآنية بشكل خاص. وهو الالتفات الحاصل بين الجمل المعطوفة أو المنسوقة في سياق واحد –أي سياق القصة القرآنية– ولكن هذه الجمل المنسوقة أو المتوالية ذات دلالات مهمة مختلفة، أو تشير إلى شخصيات مختلفة في القصة، أو ترجع إلى شخصيات مختلفة، فهي مترابطة بشكل يصعب معه تمييز قائلها أو مرجعيتها الدلالية. ومغزى

ذلك الالتفات الدلالي أنه (يأتي بغير المتوقع لدى القارئ أو السامع؛ فيؤدي إلى حالة من التيقظ الذهني والنشاط العقلي، ويبعد عن المتلقي ما قد يصيبه من ملل؛ نتيجة السير على نمط واحد من أنماط التعبير) [٤] مع شيء من الغموض؛ فلا يكاد القارئ أو المتلقي يميز ذلك التعبير الدلالي الحاصل في السياق نتيجة ذلك الالتفات الحاصل في جملة القصة القرآنية إلا من خلال الرجوع إلى السياق، واستحضار الذهن وتدبره، بل يحتاج في كثيرٍ من الأحيان إلى الرجوع إلى آراء العلماء ومضان التفسير؛ لأنه من الدقة بمكان يصعب معها تمييزه من الوهلة الأولى أو من القراءة الأولى، ويتنوع من سياق إلى آخر.

وذلك من أساليب القرآن المتفردة فيه، إذ إنه لا يظهر كل شيء واضحاً بل يترك قدراً لا بأس به غامضاً؛ لكي يفسح المجال للمتلقي أن يعمل فيه عقله وقلبه؛ لإيضاح الغامض منه، وعدم الركون إلى الكسل وايقاض الفكر، فلو كان القرآن كله ظاهراً مكشوفاً؛ فيعيه البشر جميعهم بمختلف قدراتهم الفكرية على حد سواء لبطل التفاضل بينهم، وماتت الخواطر والخيالات، ولانخفض مستوى لذة الحصول على هذه الجزئيات، وربما لا يعود لها وجود؛ فمع الكفاية يقع العجز والبلادة، ومع الحاجة تقع الفكرة والحيلة[٥].

ومن خلال تتبع أسلوب القصة في القرآن الكريم وجدنا أن هذا الالتفات قد جاء على ثلاث صور، هي: الالتفات السياقي للجمل، والالتفات في عودة الضمير في الجمل، والالتفات الحاصل في جمل مقول القول.

أولاً: الالتفات السياقي للجملة

ونقصد بالالتفات السياقي هو أن الجمل في ذلك السياق تتحدث عن مقصود معين او تشير إلى شيء معين ثم يُلتفت عن المقصود في جميع تلك الجمل إلى شيء آخر لم يذكر في جميع جمل السياق السابقة.

وذلك كما في سياق قصة طالوت وجالوت في سورة البقرة، وهو قوله تعالى:ﭽ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ی ی ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ تم تى تي ثج ثم ثى ثي جح جم حج حم خج خح خم سج سح سخ سم صح صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم لج لح لخ لم له مج مح مخ مم نج نح نخ نم نى ني هج هم هى هي يج يح يخ يم يى يي ذٰ رٰ ىٰ ئر ئز ئم ئن ئى ئي بر بز بم بن بى بي تر تز تم تن تى تي ثر ثز ثم ثن ثى ثي فى في قى قي كا كل كم كى كي لا لم لى لي ما مم نر نز نم نن نى ني ير يز يم ين يى يي ئج ئح ئخ ئم ئه بج بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صخ صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم لج لح لخ لم له مج مح مخ مم نج نح نخ نم نه هج هم هٰ ئر ئز ئم ئن ئى ئي بر بز بم بن بى بي تر تز تم تن تى تي ثر ثز ثم ثن ثى ثي فى في قى قي كا كل كم كى كي لا لم لى لي ما مم نر نز نم نن نى ني ير يز يم ين يى يي ئج ئح ئخ ئم ئه بج بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صخ صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم لج لح لخ لم له مج مح مخ مم نج نح نخ نم نه هج هم هٰ

□ □ ى ٱ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ں ڻ ڻ ڻ ۀ ہ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ی ی ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ تم تى تي ثج ثم ثى ثي جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم فى في قح قم قى قي كا كل كم كى كي لج لح لخ لم لى لي مج مح مخ مم مى مي نج نح نخ نم نى ني هج هم هى هي يج يح يخ يم يى يي ذٰ رٰ ىٰ ئر ئز ئم ئن ئى ئي بر بز بم بن بى بي تر تز تم تن تى تي ثر ثز ثم ثن ثى ثي فى في قى قي كا كل كم كى كي لم لى لي ما مم نر نز نم نن نى ني ير يز يم ين يى يي ئج ئح ئخ ئم ئه بج بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صخ صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم لج لح لخ لم له مج مح مخ مم نج نح نخ نم نه هج هم هٰ ئم ئه بم به تم ته ثم ته سم سه شم شه كل كم لم له مم نم نه يم يه ـّ ـٰ ـٌ ـٍ ـً ـُ ـِ ـَ ـْ ـ ء ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن ه و ى ي ﷺ[٦]

فلو نظرنا إلى هذا السياق لوجدنا أن جميع جمل القصة تتحدث أو تشير إلى طالوت ومن كان معه من السائرين إلى قتال جالوت وجنوده إلا في جملة نهاية القصة المتمثلة بقولهِ تعالى (ۀ ہ ہ) إذ جاء ذكر داود ﷺ الذي لم يذكر في جميع جمل القصة، فالقصة تدور حول مبعث طالوت لبني إسرائيل حتى يقاتلوا تحت إمرته في سبيل الله فكانت الجمل تذكره أو تذكر ما يشير إليه من الضمائر فمثلاً:

في جملة (ک ک ک گ گ گگڳ) قد صرح السياق باسم الملك طالوت

وفي جملة (گڳ ڳ ڳ گ گ ڳ) أشار إليه بالضمير (الهاء) في له.

وفي جملة (ہ ہ ھ ھ) أشار إليه بالضمير (الهاء) في اصطفاه.

وفي جملة (ٱ ٻ ٻ ٻ) صرّح بإسماعه مرة أخرى.

وفي جملة (گ گ گ گ) أشار إليه أيضاً بالضمير (الواو) في (برزوا) لأنه من ضمنهم.

وفي جملة (ٹ ٹ ۀ) أيضاً أشار إليه بالضمير (هم) لأنه داخل فيهم.

إلى أن جاءت نهاية القصة وهي جملة (ۀ ہ ہ) فالتفت السياق إلى شخص آخر لم يرد ذكره في كلّ جمل القصة المتقدمة، ولم تشر إليه لا من قريب ولا من بعيد، بل إن القصة قد أغفلت ذكر أهم شخصية مؤثرة في الأحداث؛ لأنه الشخص الذي سوف يتحقق النصر على يديه ويقتل جالوت، وهو داود ﷺ.

فالقصة بدأت عندما طلب بنو إسرائيل من النبي (صموئيل)[٧] أن يبعث الله لهم ملكاً يقاتلون معه في سبيل الله، فبعث الله طالوت، وتستمر القصة والسياق يتحدث عن طالوت الملك، وكيف أنه أخذ بني إسرائيل وعبر بهم نهر الأردن وقادهم إلى مواجهة جالوت وجنوده، وذلك من خلال الجمل والآيات التي تشير إلى طالوت – أي تعبر عن قوله وفعله معهم– ولكن

في الآية الأخيرة من القصة، في ثاني جملة منها حصل الالتفات إلى داود ﷺ ذلك أن المتدبر أو القارئ لآيات وجمل القصة ينتظر – وبحسب السياق– أن يقتل طالوت جالوت؛ لأن طالوت هو الملك، وهو قائد الجيش في بني إسرائيل، وأنه مبعث من الله ، كما أن جالوت هو ملك وقائد عدوهم، ولكن السياق القرآني أفصح عن شخص آخر لم يرد له ذكر في كل جمل القصة السابقة! وهذا الالتفات له ما يبرره من دلالة غاية في الدقة والبيان.

ذلك أن داود ﷺ لم يكن ضمن جيش طالوت عندما خرج وعبر النهر، بل وحتّى عندما كان الجيشان في المواجهة، المتمثلة بجملة قوله تعالى: (گ گ گ گ) وأَن داود ﷺكان أصغر إخوته الثلاثة عشر، وكان مخلفاً في الغنم يرعاها، ولكن عندما تراءى الجيشان قال جالوت لطالوت: اخرج إلي أو أخرج لي من يبارزني؛ فإن قتلني فلكم ملكي، وإن قتلته فلي ملككم –وكان جالوت محارباً قوياً لا يقهر– فشق ذلك على طالوت ونادى في عسكره: من يقتل جالوت فله نصف ملكي، وزوجته ابنتي، فلم يجبه أحد، فسأل نبيهم (صموئيل) أن يدعو الله في ذلك، فدعا، فأوحى الله إلى نبيهم أن قاتل جالوت من استوت عليه من ولد إيشا درع عند طالوت فأخرج له أثني عشر رجلاً، لم تستو على أحد منهم، فقال النبي صموئيل لإيشا: هل بقي من ولدك أحد، فقال نعم بقي لي ولد صغير سقام[٨] اسمه داود خلفته في الغنم يرعاها، فجيء بداود[٩] فاستوت عليه الدرع، وكان بيده مقلاع فيه ثلاثة أحجار، فرمى داود جالوت بمقلاعه؛ فأصابه فقتله؛ وحصل لهم النصر بذلك[١٠] وأصبح داود ﷺ ملكاً على بني إسرائيل بعد موت طالوت، وآتاه الله النبوة؛ لذلك قال تعالى : (ﭑ ﭒ ﭓ) الذي كان بيد طالوت و(ﭔ) أي النبوة بعد صموئيل (ﭕ ﭖ ﭗ)[١١].

وهكذا فإننا نجد كل جمل القصة في هذا السياق قد ذكر فيها طالوت أو ما يعود عليه من الضمائر إلا في الجملة الملتفت إليها، وهي جملة قوله تعالى (ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ)[١٢] وذلك أن داود ﷺ لم يكن ضمن الجيش الذي سار لقتال جالوت وجنوده وإنما التحق بالجيش في نهاية المعركة والمواجهة؛ ولذلك فقد أغفل السياق ذكره منذ البدء لحين لحظة المواجهة أو نهاية القصة لهذا السبب.

ومما تجدر الإشارة إليه أن جملة (ﻫ ه ﻫ) الملتفت إليها تأخرت على جملة (ﭧ ﭨ ﭩ)[١٣] التي تعد نتيجة لها، أي لما قتل داود جالوت حصلت هزيمة جالوت وجنوده، أي تقدمت النتيجة على السبب؛ وذلك للسبب نفسه وهو عدم ذكر داود عليه السلام في الجمل السابقة في القصة. فأخره في الذكر؛ لأنه يحتاج إلى زيادة بيان، لذلك قال بعدها (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ)[١٤].

ثانياً: الالتفات في عودة الضمير

والمقصود بذلك أن الضمير في جملة أو أكثر من جمل السياق يعود على غير ما تعود عليه الضمائر الواردة في جمل السياق؛ إذ إنه يشير إلى شيء آخر مذكور أو غير مذكور في ذلك السياق. وهذا من المواطن المميزة من الالتفات في سياق القصة القرآنية.

فمن ذلك ما ورد في سورة يوسفعليه السلام في قوله تعالى: ﭽ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝﮞ ﮟ ﮠﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﭼ[١٥]

فالناظر إلى ظاهر السياق يرى أن جميع الجمل فيه تعود دلالتها أو تتحدث عن السيارة الذين أرسلوا واردهم، ووجدوا يوسف عليه السلام في الجب؛ ولا يحس بأن هناك التفاتاً خفياً في عودة الضمير في جملة قوله تعالى : (ﮨ ﮩ ﮪ) وما بعدها؛ إذ يعود فيها الضمير في (شروه) على غير ما يعود عليه في الجمل التي سبقتها، فهو يعود على إخوة يوسف الأحد عشر، فبينما كان السياق يتكلم عن السيارة انتقل ملتفتاً إلى إخوة يوسف في جملة (ﮨ ﮩ ﮪ) وما بعدها في التفات دلالي غاية في الدقة والخفاء؛ إذ إن القارئ لا يكاد يميز ذلك و لا يتنبهه له؛ لأن السياق لم يذكر _ أي سياق القصة_ أو يلمح إلى وجود إخوة يوسف أو حضورهم عندما وجد الوارد وأصحابه يوسف عليه السلام في الجب ((ذلك أنه روي أن إخوته لما رجعوا إلى أبيهم وأعلموه[١٦]، رجع بعضهم إلى الجب؛ ليتحققوا أمر يوسف ويقفوا على الحقيقة من فقده ولما علموا أن الورّاد قد أخذوه؛ جاؤوهم فقالوا: هذا عبد أبق لإمنا ووهبته لنا ونحن نبيعه لكم، فقارّهم يوسف على هذه المقالةِ؛ خوفاً منهم ولينفذ الله أمره فحينئذ أسره إخوته إذ جحدوا إخوته فأسروها واتخذوه بضاعة أي متجراً لهم ومكسباً (وشروه) أيضاً بثمن بخس أي باعوه))[١٧].

ونقل جمهور المفسرين عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى: (ﮨ ﮩ ﮪ) أنه قال: فباعه إخوته بثمن بخس. أي إنّ الضمير فيها يعود على إخوة يوسف[١٨].

وهناك مَنْ رجّح أن الضمائر في الجملتين السابقتين لهذه الجملة وهي جملة(ﮝ ﮞﮟ) وجملة (ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ) أيضاً تعود على إخوة يوسف.

وهذا ما ذهب إليه ابن عباس رضي الله عنهما إذ قال إن الضمير في (ں ڻ) لإخوة يوسف[١٩] وأنهم قالوا للرفقة، هذا غلام قد أبق لنا فاشتروه منا وسكت يوسف مخافة أن يقتلوه[٢٠].

ورجح ابن كثير – بعد أن نقل قول ابن عباس ومجاهد وآخرين – أن الضمائر في (ں ۀ ھ ے ۓ) ترجع إلى شيء واحد وهم إخوة يوسف عليه السلام[٢١].

وهذا يعني أن جملة (ھ ے ۓ) أيضاً تخص إخوة يوسف والضمير فيها يعود إليهم؛ ذلك أنهم لم يكن قصدهم تحصيل المال من بيعه للسيارة. وإنما كان قصدهم إبعاد يوسف عن أبيه إذ حقيقة الزهد في الشيء إخراج حبه من القلب ورفضه من اليد؛ وهذه كانت حال أخوة يوسف، أما الورّاد فكانوا لا يعرفون قدره؛ فهم لذلك قليل اغتباطهم به، لذلك فهو أرتب في إخوة يوسف زيادة على أنهم لم يعلموا كرامته ومنزلته عند الله[٢٢].

ومهما يكن من أمر فإنْ كانوا قد اختلفوا بالمقصود في جملة (ں ڻ) فإنهم أجمعوا على أن المقصود فيما بعدها هم إخوة يوسف وبذلك يتحقق هذا الالتفات من سياق القصة القرآنية وهو دقيق جداً.

ولابد من الإشارة إلى أنه إذا كان المراد بـ (ں ڻ) هم إخوة يوسف فإن جملة (ڈ ڈ ۀ ہ) فيها وعيد لهم على ما صنعوه من جعلهم مثل يوسف عرضة للابتذال بالبيع والشراء، وما دبروا من الحيل. وإن كان المراد بها الوارد؛ ففي ذلك تنبيه على إرادة الله تعالى ليوسف، وسوق الأقدار، وتسلية للرسول صلى الله عليه وسلم[٢٣].

وفيما يبدو أنها تعود على إخوة يوسف؛ لأنها جاءت مباشرة بعد جملة(ں ڻ) لتبين شنيع عملهم في جعله بضاعة ومتجراً؛ وأن الجمل التي جاءت بعدها في السياق وهي جملة (وشروه بثمن بخس) وجملة (ھ ے ۓ) لم تكن إلا نتيجة للجملة الأولى وهي جملة (ں ڻ)، ويمكن أن يكون ذلك أيضاً دليلاً على أن جملة (ں ڻ) تعود دلالتها إلى إخوة يوسف؛ فلذلك جاء الوعيد بعدها مباشرة والله أعلم...

وبذلك نستطيع القول إنّ هذا الالتفات يعطي مزيداً من الدلالات والمعاني، ويجعل الباب مفتوحاً للتأويل وتكثير المعاني في كتاب الله تعالى، فضلاً عما أعطاه من إيجازٍ واختصارٍ للإحداث وبلاغة وبيان ....

ومن مواضعه كذلك ما ورد في قصة يوسف أيضاً وهو قوله تعالى:چ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ چ[٢٤]

فالسياق – سياق القصة– يتحدث عن يوسف، أي: إنَّ المتحدث هو يوسف عليه السلام في قوله: (ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ) ولكن بعدها حصل الالتفات في جملة قوله تعالى: (ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ) التي ليس المقصود فيها يوسف عليه السلام ذلك أن يوسف عليه السلام لم ينس ذكر ربهِ؛ مما أدى إلى لبثه في السجن بضع سنين بسبب ذلك النسيان؛ كما يوحي به السياق؛ للاتصال الشديد بين هذه الجمل في اللفظِ؛ ممّا أدى إلى وقوع لبس عند بعض المفسرين، فنسبوا هذا النسيان والغفلة إلى يوسف عليه السلام .

فورد في تفسير الطبري قوله: (وهذا خبرٌ من الله جلّ ثناؤه عن غفلةٍ عَرَضت ليوسف من قبل الشيطان، نسي لها ذكر ربه الذي لو به استغاث لأسرع بما هو فيه خلاصه ، ولكنه زلَّ بها؛ فأطال من أجلها في السجن حبسَه، وأوجع لها عقوبته)[٢٥].

وأورد عدداً من الأحاديث التي تثبت ذلك، منها عن عمرو بن دينار عن عكرمة، قال: قال رسول الله ﷺ : (لولا أنه – يعني يوسف– قال الكلمة التي قال، ما لبث في السجن طول ما لبث) [٢٦].

ومنها عن عكرمة عن ابن عباس قال، قال النبي ﷺ : (لو لم يقل – يعني يوسف– الكلمة التي قال، ما لبث في السجن طول ما لبث حيث يبتغي الفرج من عند غير الله) [٢٧] [٢٨].

وهذه الأحاديث – وغيرها– بمجموعها أحاديث ضعيفة لا يحتج بها كما ذهب إلى ذلك الحافظ ابن كثير رحمه الله.

ومن المفسرين من أورد إسرائيليات –وذلك بعدما ذهب إلى أن المقصود بالنسيان هو يوسف عليه السلام– لا يمكن تصديقها، بل لا يليق نسبتها إلى الأنبياء – عليهم السلام– ومن تلك

الروايات ما ورد عن مالك بن دينار أنه قال: (لما قال يوسف للساقي اذكرني عند ربك، قيل له: يا يوسف اتخذت من دوني وكيلاً لأطيلن حبسك؛ فبكى يوسف وقال: يا رب أنسى قلبي ذكرك كثرة البلوى؛ فقلت كلمة ولن أعود) [٢٩].

والصحيح أنّ الهاء في (أنساه) ترجع إلى الساقي، وهو قول عامة المفسرين، والمعنى: فأنسى الشيطان الساقي أن يذكر يوسف عند الملكِ.

وهذا ما رجحه الأمام البغوي[٣٠]ووافقه أبو حيان[٣١]وأبو السعود[٣٢]وابن كثير[٣٣] والشوكاني[٣٤] وهو ما رجحه أيضاً شيخ الاسلام ابن تيمية – رحمه الله– من وجوه عديدة، فقال: (بل الشيطان أنسى الذي نجا منهما ذكر ربّهِ، وهذا هو الصواب، فإنه مطابق لقوله تعالى (ﯕ ﯖ ﯗ) قال تعالى (ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ) والضمير يعود إلى القريب، إذا لم يكن هناك دليل على خلاف ذلك؛ ولأن يوسف لم ينس ذكر ربه بل كان ذاكراً لربه ... ، ثم قال بعد وجوه عديدة: فتبين أن قوله (ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ) أي أنسى الفتى ذكر ربه، أن يذكر هذا لربه، ونسي ذكر يوسف ربه، والمصدر يضاف إلى الفاعل والمفعول، ويوسف قد ذكر ربه ونسي الفتى ذكر يوسف لسيده، وأنساه الشيطان أن يذكر ربه هذا الذكر الخاص، فإنه وإن كان يسقي ربه خمراً، فقد لا يخطر هذا الذكر بقلبه، ومما يبين أن الذي نسي ذكر ربه هو الفتى لا يوسف ﷺ قوله بعد ذلك (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ) [٣٥] وهذا دليل على أنه نسي فأدّكر[٣٦].

وذهب بعض المفسرين إلى أن يوسف هو الذي نسي ذكر ربه فعُوقب بالسجن على استعانته بغير الله في تفريج كربته[٣٧]، فقد نقل الخازن عن بعضهم : (والمعنى أن الشيطان أنسى يوسف[٣٨] ذكر ربه عزّ وجلّ حتى ابتغى الفرج من غيره، واستعان بمخلوق مثله في دفع الضرر وتلك غفلة عرضت ليوسف فإن الاستعانة بالمخلوق في دفع الضرر جائزة إلا أنه لما كان مقام يوسف أعلى المقامات، ورتبته أشرف المراتب وهي منصب النبوة والرسالة فلا جرم صار يوسف موآخذاً بهذا القدر، فإنّ حسنات الأبرار سيئات المقربين) [٣٩].

وردَّ أبو حيان على ذلك فقال: (فالمعنى أن يوسف ﷺ قال لساقي الملك حين علم أنه سيعود إلى حالتهِ الأُولى مع الملك: اذكرني عند الملك، أي: بعلمي ومكانتي، وما أنا عليه مما آتاني الله ، واذكرني بمظلمتي وما امتحنت به بغير حقٍّ. وهذا من يوسف على سبيل

الاستعانة والتعاون في تفريج كربه، وجعله –بإذن الله وتقديره– سبباً للخلاص، كما جاء عن عيسى ﷺ قوله چ □ □ □ □چ[٤٠] وكما كان الرسول ﷺ يطلب من يحرسه. والذي اختاره أن يوسف إنما قال لساقي الملك اذكرني عند ربك ليتوصل إلى هدايته وإيمانه بالله كما توصل إلى إيضاح الحق للساقي وصاحبه. والضمير في أنساه عائد على الساقي، ومعنى ذكر ربه : ذكر يوسف لربه، والإضافة تكون لأدنى ملابسة، وانساء الشيطان له بما يوسوس إليه من اشتغاله حتى يذهل عما قال له يوسف)[٤١].

وقال القاسمي – وذلك بعد أن أيّد أن الضمير في (أنساه) يعود على الساقي– (دلت الآية على جواز الاستعانة بمن هو مظنة كشف الغمة، ولو كان مشركاً، وقد جاء في ذلك قوله تعالى : چ □ □ □ □چ[٤٢] وقوله حكاية عن عيسى چ□ □ □ □□چ[٤٣] وفي الحديث الشريف ((واللهُ في عَونِ العَبْدِ مَا دَامَ العَبْدُ في عَوْنِ أخيهِ))[٤٤]، وجلي أن ذلك من نظام الكون، والعمران البشري، ولذلك ميز الإنسان بالنطق)[٤٥].

وعلى كل حال فإنَّ السياق القرآني يعمد إلى تحريك العقل وإعمال الفكر في معرفة المقصود في مثل هذا الخطاب، ويبدو لي أن في السياق التفات دلالي في جملة (ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ) من خلال عودة الضمير على غير ما يعود عليه في الجملة السابقة لها، ثم رجع سياق القصة بعدها إلى الإشارة إلى المقصود نفسه وهو يوسف ﷺ في جملة (ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ). وإن هذا لا يكاد يحس به؛ للاتصال الشديد بين جمل السياق، فهو بحاجة إلى زيادة تدبر وتأمل. فضلاً عن الرجوع إلى المفسرين وآراء العلماء لمعرفة دلالة ذلك.

وآخر ما ورد من هذا الالتفات في سياق القصة القرآنية[٤٦] هو ما ورد في سياق قصة مريم وعيسى عليهما السلام وذلك في قوله تعالى : چ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ چ[٤٧].

وهذا من المواضع الدقيقة –المختلف فيها– لهذا الالتفات، فظاهر الكلام يوحي بأن الضمير في جملة (فناداها من تحتها) يعود على ما عادت عليه الضمائر في الجمل الأخرى، المتقدمة أو المتأخرة، أي في جملة (ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ)[٤٨] وجملة (ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ)[٤٩]، وهو عيسى

الطَّيْطُ. ولاشك أن الهاء في جملة (فحملته) و (أتت به) تعود على عيسى الطَّيْطُ ولكن المفسرين اختلفوا في عودة الضمير في جملة (فناداها).

فذهب ابن عباس رضي الله عنهما إلى أن الذي ناداها من تحتها جبريل الطَّيْطُ. وكذا قال سعيد بن جبير – في إحدى الروايتين عنه– وقال الضحاك وعمرو بن ميمون الأودي والسدي وقتادة: أنه الملك – جبريل– الطَّيْطُ أي ناداها من أسفل الوادي، وقالوا:لم يتكلم عيسى حتى أتت قومها [٥٠]. وكانت مريم الطَّيْطُ على أكمة وجبريل وراء الأكمة تحتها فناداها[٥١]. وقال الحسن بن أبي الحسن: كان جبريل في بقعة من الأرض أخفض من البقعة التي كانت عليها، وأقسم على ذلك[٥٢]. وقرأ ابن عباس (فَنَادَاهَا مَلَكٌ مِنْ تَحْتِهَا) [٥٣].

وقال مجاهد والحسن بن منبه وأبي بن كعب: إن الذي ناداها من تحتها هو عيسى ابنها[٥٤]. وهو اختيار ابن جرير الطبري، وذلك أنه من كناية ذكره أقرب من ذكر جبريل، فرده الذي هو أولى من رده على الذي هو أبعد منه، وذلك أن جملة (فناداها) في سياق قوله تعالى: (ۋ ۋ ۅ ۅ) يعني فحملت عيسى فانتبذت به، ثم قيل: (فناداها) نسقاً على ذلك[٥٥] من ذكر عيسى والخبر عنه، ولعلة أخرى وهي قوله تعالى: (فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ) [٥٦]ولم تشر إليه إلا وقد علمت أنه ناطق في حاله تلك، أي: إنها لو لم تعلم أنه يتكلم؛ لما أشارت إليه عندما سألوها عنه[٥٧].

وقد رجح البغوي والزمخشري والقرطبي وابن كثير وأبو السعود والشوكاني والقاسمي وغيرهم، ما ذهب إليه ابن عباس[٥٨] – رضي الله عنهما– من أن المقصود بـ (فناداها) هو جبريل الطَّيْطُ ؛ ذلك أنه لما سمع كلامها وعرف جزعها، ناداها لا تحزني من مكان أسفل من مكانها[٥٩] كقوله تعالى: ﭼ ﺫ ﺙ ﭼ [٦٠] [٦١].

أما ما ذهبوا إليه من أن الجملة في سياق الضمائر التي تعود على عيسى الطَّيْطُ فليس بحجةٍ؛ لأن القصة القرآنية تعمد إلى الإيجاز وتركيز الأحداث، وليس بالضرورة أن تكون مرتبة من ناحية المتكلمين أوالمتحاورين؛ فيمكن أن يكون هناك تداخل بين الجمل واتصال شديد ،وهذا من السمات المميزة للقصة القرآنية.

وأما استدلالهم على ذلك بقوله تعالى (فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ) وأنها لو لم يخاطبها بـ(الاّ تحزني) لما أشارت إليه، فيرد عليه بأنها عليها السلام كانت تعلم بأنها ستلد غلاماً يتكلم في المهد قبل أن يأتيها المخاض وقت الولادة، إذ إنها بُشرت به قبل ذلك في قوله تعالى : چ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ى ى ي ي □ □ □ چ(٦٢)

وبذلك يتبين من السياق أن الصواب هو أن الضمير يعود على الملك جبريلعليه السلام وهذا يعني وجود التفات دلالي في هذا السياق في جملة (فناداها من تحتها) ، إذ إن السياق يتحدث عن عيسىعليه السلام، أما في هذه الجملة فالضمير يعود فيها على جبريل عليه السلام الذي ناداها من أسفل الجبل –كما بينّا – عندما رأى جزعها وسمع كلامها ، والله أعلم.

ثالثاً: الالتفات في جملة مقول القول

ونقصد بهذا الالتفات أن القصة القرآنية تورد كلامَ شخصٍ ما أو تنسب كلاماً لشخص ما، ثم تنتقل إلى كلام شخص آخر، من دون أن تبين ذلك الانتقال، ثم يعود السياق مرة أخرى – أو لا يعود– إلى كلام الشخص الأول. وهو من الالتفات الخفي الذي فيه شيء من الغموض، لا يكاد يقع عليه القارئ أو المتلقي؛ وذلك للاتصال الشديد الحاصل بين الجمل. وهو من السمات الأسلوبية المميزة في سياق القصة القرآنية.

وأول هذه المواضع ما ورد من سياق سورة الأعراف في قصة موسى ﷺ وفرعون إذ قال تعالى: چچ چ چ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڱ ڱ چ[٦٣]

فالظاهر من السياق أن جميع الجمل الواردة فيه هي من قول الملأ، ولكن هناك التفات في جملة (فماذا تأمرون) إذ هي ليست من كلام الملأ، بل هي من قول فرعون الذي ذكرت جملته ولم يذكر هو، ثم يعود السياق بعد ذلك إلى الملأ في قوله (أرجه وأخاه...) على حين أن ظاهر السياق يعطي وهماً أن جملة (فماذا تأمرون) تتمة لقول الملأ السابق، أي: إن الكلام متصل بما قبله وكأنّه قول واحد في حين أنَّه قولان[٦٤].

ومن المفسرين من ذهب إلى أنَّ الالتفات في هذا السياق بدأ من قوله تعالى : (يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون) أي: إنَّ كلام الملأ انتهى عند جملة قوله تعالى: (إن هذا لساحر عليم)، ثم بدأ كلام فرعون[٦٥].

وذهب بعضهم إلى أنَّه لا يوجد التفاتٌ في السياق، وأنَّ قوله تعالى: (يريد أن يخرجكم من أرضكم [٦٦]فماذا تأمرون) كله للملأ يخاطبون بعضهم بعضاً في حضرة فرعون، أو أن تكون هذه الجملة صادرة من الملأ وخاطبوا بذلك فرعون، فجرت ضمائر الخطاب متشابهة على صيغة الجمع تعظيماً للملك، كما في قوله تعالى: (قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ) [٦٧].وهذا استعمال مطرد، والأمر في حقيقته طلبُ الفعل، فمعنى: (فماذا تأمرون) ماذا تطلبون أن نفعل[٦٨].

وكون جملة (فماذا تأمرون) من كلام فرعون هو الأُولى؛ بدليل ما بعده وهو قوله تعالى: (گ گ گ گ ڳ ڳ ڱ)[٦٩] إذ إن هذه الجملة هي الجواب لكلام فرعون حيث استشارهم وطلب ما عندهم من الرأي[٧٠]. وإنما وصل الكلام؛ لأن هذا الحوار بين فرعون

والملأ قد تم وجهاً لوجهٍ، إذ لا يبعد في المواجهةِ وصلُ كلام شخص بكلام شخص آخر إذا دلت القرينة على ذلك(٧١).

وفي الآية السابقة نفسها دليل آخر بأنَّ جملة (فماذا تأمرون) هي من قول فرعون وليست من قول الملأ، إذ كيف يسألونه ويجيبون عنه، ثم إنَّه لو كانت جملة (فماذا تأمرون) من قول الملأ؛ لما احتاج السياق إلى تكرار جملة القول (قالوا) مرة أخرى في السياق، يضاف إلى ذلك كله أن جملة(فماذا تأمرون) قد وردت في سورة الشعراء في سياق القصة نفسها من قول فرعون لا الملأ، وذلك في قوله تعالى: ﴿ ... ﴾ (٧٢) والقرآن يفسر بعضه بعضاً، ولاسيما في سياق القصة القرآنية، إذ يمكن أن تتكرر في أكثر من موضع ولكن بأسلوب مختلف من الإيجاز والإطناب، وكما هو الحال في قصة موسى وفرعون، وهي أكثر قصص القرآن الكريم وروداً فيه.

ومن المواضع الدقيقة في هذا الالتفات الذي يتغير فيه القائل من دون أن يحس القارئ بذلك التغيير، هو ما ورد في سياق قصة يوسف من قوله تعالى :﴿ ... ﴾(٧٣).

فالظاهر من نظم الكلام أنَّ جميع الجمل الواردة في هذا السياق هي جمل مقول القول، أي: إنها جميعاً من قول امرأة العزيز، على حين أن كلامها انتهى عند جملة قوله تعالى : (...)، ويبدأ بعدها متحدث آخر في القصة وهو يوسف عليه السلام إذ وُصل كلامه بكلامها بشكل يوهم معه أنه لمتكلمٍ واحدٍ– وهي جمل مقول القول– فوصل من ناحية اللفظ، ولكن دلالته مختلفة تماماً على سبيل الالتفات، (وهذا أغمض ما يأتي في الكلام أنه حكى عن شخص شيئاً ثم يقول في شيء آخر من قول شخص آخر لم يجر له ذكر) (٧٤).

وذهب أكثر المفسرين إلى أنَّ قوله تعالى : (...) من كلام يوسف(٧٥) عليه السلام ونقل الشوكاني عن الفرّاء قوله :(ولا يبعد وصل كلام إنسان بكلام إنسان آخر إذا دلت القرينة الصارفة لكل منهما إلى ما يليق به والإشارة إلى الحادثة الواقعة منه، وهي تثبيته وتأنيه، أي: فعلت ذلك ليعلم أني لم أخنه في أهله بالغيب ، والمعنى بظهر الغيب)(٧٦).

وقيل أن يوسف عليه السلام قال ذلك وهو في السجن، بعد أن أَخبره الرسول بما قالته المرأة وثبوت براءته؛ لأنه كان قد رد رسول الملك إليه، ورفض الخروج من السجن من قبل أن تثبت براءته[٧٧]، فقال يوسف عليه السلام ذلك، أي: الذي فعلت من ردي رسول الملك إليه؛ ليعلم العزيز أني لم أخنهُ في زوجتهِ بالغيب، يعني في حال غيبته، فيكون هذا من كلام يوسف اتصل بقول امرأة العزيز (□ ى ى ي) من غير تمييز بين الكلامين[٧٨]؛ لمعرفة السامعين معناه[٧٩]مع غموض فيه؛ لأنه ذكر كلام إنسان ثم اتبعه بكلام إنسان آخر من غير فصلٍ بين الكلامين.

وعليه فقد اختلف المفسرون، أين كان يوسف حين قال هذه المقالة؟ على قولين:

أحدهما: أنه عليه السلام كان في السجن، وذلك أنه لما رجع إليه رسول الملك وهو في السجن، وأخبره بجواب امرأة العزيز للملك، قال حينئذٍ (□ □ □ □ □ □...) وهذه رواية أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما وبه قال ابن جريج.

ثانيهما: أنه قال هذه المقالة عند حضوره عند الملك، وهذه رواية عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أيضاً[٨٠].

وقال ابن الجوزي: (فإنْ قيل إنْ كان يوسف قد قال ذلك في مجلس الملك فلماذا خاطبه بالياء في (ليعلم) ولم يخاطبه (بالتاء) لتعلم؟ فالجواب: إنا إنْ قلنا إنَّه كان حاضراً عند الملك فإنه إنما آثر الخطاب بالياء توقيراً للملك، كما يقول الرجل للوزير:إن رأى الوزير أن يوقع في قصتي، وإن قلنا إنه كان غائباً فلا وجه لدخول التاء)[٨١].

وقد رجح الخازن القول الثاني، فقال: (فإنْ قلت فعلى هذا القول كيف خاطبهم بلفظة (ذلك) وهي إشارة للغائب مع حضوره عندهم؟ قلت: قال ابن الانباري قال اللغويون هذا وذلك يصلحان في هذا الموضع لقرب الخبر من أصحابه، فصار كالمشاهد الذي يشار إليه بهذا، وقيل ذلك إشارة إلى ما فعله، يقول ذلك الذي فعلته من ردي الرسول (□ □ □ □ □) أي لم أخن العزيز في حال غيبتهِ، ثم ختم هذا الكلام بقولهِ: (□ □ □ □ □ □)[٨٢].

ويبدو أَنه قالها وهو ما لازال في حبسهِ[٨٣]بعد ردِّهِ رسول الملك (وإنمّا تصدى عليه السلام لتمهيد هذه المقدمة قبل الخروج؛ ليظهر براءة ساحته مما قُذف به لاسيما عند العزيز قبل أن

يحل ما عقده، كما يعرب عنه قوله ﷺ لما رجع إليهِ الرسولُ وأخبره بكلامهن) [٨٤]. يضاف إلى ذلك أن الملك قال (أتوني به استخلصه لنفسي) بعد أن عرف براءته، ولو أنه ﷺ كان موجوداً في حضرته لما قال (أتوني بهِ...) [٨٥].

ولابد من الإشارة إلى أنَّ هناك مّنْ ذهب إلى أنَّه ليس هناك التفات في جمل مقول القول، وان الكلام كله ينسب إلى المرأة! وهو قول الأقلين[٨٦] من المفسرين[٨٧].

قال أبو حيان: (الظاهر أنّ هذا من كلام امرأة العزيز، وهو داخل تحت قولهِ: قالت، والمعنى ذلك الإقرار والاعتراف بالحق ليعلم يوسف إني لم أخنه في غيبته والذب عنه وأرميه بذنب هو منه بريء، ثم اعتذرت عمّا وقعت فيه مما يقع فيه البشر من الشهوات بقولها: وما أبرئ نفسي، والنفوس مائلة إلى الشهوات أمارة بالسوء) [٨٨].

وقال ابن كثير: (ذلك ليعلم أنِّي لم أخنهُ بالغيب، تقول: إنما اعترفت بهذا على نفسي ليعلم زوجي[٨٩] أنَّي لم أخنه بالغيب، في نفس الأَمر ولا وقع المحذور الأكبر وإنما راودت هذا الشاب مراودة فامتنع؛ فلهذا اعترفت ليعلم أني بريئة (وأن الله لا يهدي كيد الخائنين وما أبرئ نفسي) وتقول المرأة ولست أبرئ نفسي فإنَّ النفسَ تتحدث وتتمنى؛ ولهذا راودته (لأنها أمّارة) بالسوء إلا ما رحم ربي... وهذا القول هو الأشهر والأليق و الأنسب بسياق القصة ومعاني الكلام)[٩٠].

والعلة في ذلك عندهم _ أي الذين نسبوا الكلام للمرأة– أن يوسف ﷺ لم يكن موجوداً في حضرة الملك عندما اعترفت المرأة بالمراودةِ، بل كان في السجن، وأن الملك أحضره بعد ذلك[٩١].

وفي الحقيقة أنَّه لا يمتنع أَن يقول يوسف ذلك وهو في السجن بعدما أبلغه الرسول بظهور براءته، واعتراف المرأة بذنبها[٩٢]، ولاسيما أن القصة القرآنية تختصر كثيراً من الأحداث والمشاهد؛ للوصول إلى الحدثِ الأهمِ في القصةِ، وهو اعتراف المرأة وبراءة يوسف وخروجه من السجن، يضاف إلى ذلك أن المرأة قد خانت زوجها وعزمت على فعل الفاحشة لولا أنه امتنع وردّها، فلا مناسبة أن تقول(□ □ □ □ □ □).

وبذلك يكون هناك فصل في الكلام، والتفات دلالي في جمل السياق من كلام المرأة إلى كلام يوسف عليه السلام مع شيء من الغموض يكون فيه من الصعوبة بمكان تمييز ذلك الفصل والالتفات؛ لاتصال جمل السياق في اللفظ اتصالاً شديداً ولاسيما وأن جميع الجمل في سياق مقول قول المرأة.

ويؤيد ذلك دلالة الجملة الآتية بعدها وهي قوله تعالى:چ □ □ □ □ □ □ چ فهي تؤكد ما قاله في الجملة الأولى، وأنه لو كان خائناً لما هدى الله عز وجل أمره، أي سدده وأحسن عاقبته، ولا يخفى ما في هذه الجملة من تعريض بامرأة العزيز في خيانتها أمانته، وبالعزيز أيضاً في خيانة أمانة الله تعالى حين ساعدها –بعد ظهور الآيات على براءته– على حبسه[٩٣].

وأما الجمل الآتية بعدها في السياق وهي قوله تعالى: چ ب ب ب ب پ پ پ پ پ پ ٻ ٻ ٻ ٻ ڀ ڀ چ [٩٤] فقد اختلف المفسرون في نسبتها إلى قائلها على قولين:

الأول: إنها من قول امرأة العزيز، وهذا التفسير على قول مَنْ قالَ أنَّ السياق كله للمرأة، أي: إنها من ضمن جمل مقول القول في (قالت)، ومعناها (وما أبرئ نفسي مع ذلك من الخيانة فإني قد خنته، وقلت: ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن، وأودعته السجن ، تريد الاعتذار لما كان منها أن كل نفس أمّارة بالسوء إلا نفساً رحمها الله بالعصمة كنفس يوسف (إن ربي غفور رحيم) استغفرت ربها واسترحمته مما ارتكبت) [٩٥].

وقال ابن كثير: (تقول المرأة: ولست أبرئ نفسي؛ فإنَّ النفس تتحدث وتتمنى ولهذا راودته؛ لأنها أمّارة بالسوء إلا ما رحم ربي، أي: إلا من عصمه الله تعالى (إنّ ربي غفور رحيم))[٩٦].

الثاني: انها من قول يوسف عليه السلام وعليه أكثر المفسرين[٩٧]، قال الحسن: وما أبرئ نفسي لأن الله تعالى قال: چ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ چ [٩٨] ففي قوله (وما أبرئ نفسي، هضم للنفس وانكسار وتواضع لله عزَّ وجلَّ[٩٩]، فإن رؤية النفس في مقام العصمة والتزكية ذنب عظيم فأراد إزالة ذلك عن نفسهِ، فإن حسنات الأبرار سيئات المقربين) [١٠٠].

وعلى كل حال فالأمر يحتمل المعنيين، فإنْ كان المقصود به امرأة العزيز يعني اعترافها بالذنب وتبرئة يوسف، وإن كان المقصود بالخطاب يوسف فمعناه التواضع وعدم تزكية النفس، وما كان ذلك ليحصل لولا الالتفات الحاصل في جملة (□ □ □ □ □ □ □) وما بعدها وهو من بديع الإيجاز والبلاغةِ.

ومن مواضع هذا الالتفات في سياق القصة القرآنية–أيضاً– ما ورد في سياق قصة موسى في سورة القصص، وذلك من قوله تعالى:ﭽ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﭼ[١٠١] الظاهر من سياق القصة أَنَّ جملة مقول القول (ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ) وما بعدها هي من قول القبطي الذي أَراد موسى عليه السلام قتله؛ عندما استنصره ذلك الإسرائيلي. وليس كذلك، فهذه الجملة هي من قول الإسرائيلي، ولكن السياق جعلها تبدو وكأنها للقبطي (الفرعوني). وهذا قول جمهور المفسرين.

قال ابن الجوزي: (قال يا موسى هذا قول الإسرائيلي من غير خلافٍ علمناه بين المفسرين[١٠٢]، قالوا لما رأى الإسرائيلي غضب موسى عليهِ حين قال له (إنك لغوي مبين)، ورآه قد هم أن يبطش بالفرعوني؛ ظن أنه يريده، فخاف على نفسه، فقال: يا موسى أتريد أن تقتلني ، وكان قوم فرعون لم يعلموا مَن قاتل القبطي إلا أنهم أتوا إلى فرعون، فقالوا إن بني إسرائيل قتلوا رجلاً منا فخذ لنا بحقنا فقال: ابغوني قاتله، ومَنْ يشهد عليه؛ لآخذ لكم حقكم، فبيناهم يطوفون ولا يدرون مَنْ القاتل، وقعت هذه الخصومة بين الإسرائيلي والقبطي في اليوم الثاني؛ فلما قال الإسرائيلي لموسى (أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس) انطلق القبطي إلى فرعون فأخبره أن موسى هو الذي قتل الرجل؛ فأمر بقتل موسى) [١٠٣].

وقيل ان الذي أراد أن يبطش بالقبطي هو الإسرائيلي؛ فنهاه موسى عن ذلك بعد أن قال له: (إنك لغوي مبين)؛ ففزع الإسرائيلي عند ذلك من موسى وخاطبه بالفضح، وكان موسى من الندامة والتوبة على قتل القبطي في حد لا يتصور معه أنه يريد البطش بهذا القبطي الآخر. وان كان قد استصرخه الإسرائيلي لمناصرته[١٠٤].

وعلى ذلك فإن هناك حذفاً للجمل في سياق القصة على طريقة الإيجاز القرآني في عرض أحداث القصة القرآنية، وان القبطي لم يكن يعلم أن موسى ﷺ هو الذي قتل القبطي في الأمس[١٠٥]؛ حتّى فشى ذلك الإسرائيلي. وسياق القصة لم يبين ذلك على طريقة الالتفات الدلالي في الجملة القرآنية، وهو من بديع النظم في السياق القرآني عامة، وفي سياق القصة القرآنية على وجه الخصوص.

وهو من الأساليب التي يتبعها القرآن في نهج بلاغته، إذ يعتمد في مواضع كثيرة على ذكاء المتلقي وفطنته؛ فيحذف من الجمل ما لا يستدعيه سياق القصة، وما يستطيع القارئ أن يدركه، ولو بلمحة سريعة، مع تفاوت في درجات ذكاء المتلقين، وسرعة وصولهم إلى الجمل المحذوفة، التي بتجاوزها يتوصل إلى العناصر الجوهرية في القصة من جهة، ويتحول المتلقي إلى عنصر ايجابي فعال في سير القصة بإعمال فكره فيما حُذف منها من جهة أخرى[١٠٦].

وآخر ما ورد من هذا الالتفات في سياق القصة القرآنية[١٠٧] هو ما ورد في سياق سورة النمل في قصة نبي الله سليمان مع الهدهد وملكة سبأ. فورد ذلك في موضعين:

الأول : في قوله تعالى : چ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ى ى ې ې □ □ ٱ ب ب ب ې ې پ پ ې ې ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ چ چ چ چ [١٠٨]

واختلف المفسرون في وجود هذا الالتفات في هذا السياق بناءً عل القراءة القرآنية، فالذين قرؤوا قوله تعالى (ألاّ يسجدوا...) بالتشديد –وهي قراءة نافع وابن كثير وعاصم وابن عامر وحمزة – جعلوه من كلام الهدهد، بمعنى: وزين لهم الشيطان أعمالهم لئلا يسجدوا لله. والذين قرؤوا بالتخفيف – وهي قراءة أبي جعفر والكسائي– جعلوه من كلام الله مستأنفاً ، أي أمر من الله بمعنى: ألا يا هؤلاء اسجدوا[١٠٩]، وحذفوا هؤلاء بدلالة فاعلهما[١١٠].

وعلى هذا فإن كان من كلام الهدهد، فالهدهد قد استدرك على نفسه، واستقل عرشها بالنسبة إلى عظمة عرش الله. وإن كان من كلام الله تعالى فالله رد على استعظامه لعرشها[١١١].

وذهب الطبري إلى أن كلا القراءتين صحيح، فقال: (والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مستفيضتان في قراءة الأمصار، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القرأة مع صحة معنييهما) (١١٢).

واختار ابوعبيدة قراءة التشديد فقال:(للتخفيف وجه حسن إلا أن فيه انقطاع الخبر عن أمر سبأ وقومها، ثم يرجع بعد إلى ذكرهم، والقراءة بالتشديد خبر يتّبع بعضه بعضاً لا انقطاع في وسطه) (١١٣).

ورجح ابن عطية أن في السياق التفات من كلام الهدهد إلى كلام الله عز وجل فقال: (وقوله " ألا يسجدوا " إلى قوله " العظيم " ظاهره أنه من قول الهدهد وهو قول ابن زيد وابن إسحاق ويعترض بأنه غير مخاطب فكيف يتكلم في معنى شرع ويحتمل أن يكون من قول الله تعالى اعتراضا بين الكلامين وهو الثابت مع التأمل وقراءة التشديد في ألا تعطي أن الكلام للهدهد وقراءة التخفيف تمنعه وتقوي الآخر حسبما يتأمل إن شاء الله) (١١٤).

وذهب ابن عاشور إلى أن هذا الكلام ليس للهدهد، فقال:(والأظهر أنه كلام آخر من القرآن ذيل به الكلام الملقى إلى سليمان، فالواو للاعتراض بين الكلام الملقى لسليمان وبين جواب سليمان، والمقصود التعريض بالمشركين) (١١٥).

ثم إنهم اختلفوا – أيضاً– بقراءة جملة قوله تعالى: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ)(١١٦)، فقرأ جمهور القرّاء (يخفون وما يعلنون) بياء الغائب، وهذه القراءة تعني أن الجملة هي من كلام الهدهد. وقرأ الكسائي وعاصم في رواية حفص (ما تخفون وما تعلنون) بتاء الخطاب وهذه القراءة تعني أن الجملة من خطاب الله عز وجل لأمة محمد ﷺ.

قال ابن عطية:(القراءة بياء الغيبة تعطي أنه من كلام الهدهد، وبتاء الخطاب تعطي أنها من خطاب الله لأمة محمد) (١١٧).

ونقل الطبري عن ابن وهب عن ابن زيد أنه قال: (من قوله (أحطت بما لم تحط به) إلى قوله(لا اله إلا هو رب العرش العظيم) كله كلام الهدهد) (١١٨).

ومما تقدم نستطيع القول:أنَّ قراءة التشديد في (ألاَّ يسجدوا ...) وبياء الغيبة في (ما تخفون وما تعلنون) لا تعني أن هناك التفاتاً من كلام الهدهد إلى كلام الله عز وجل، وأن

السياق كله من كلام الهدهد. أما قراءة التخفيف وبتاء الخطاب، فتعني أن هناك التفاتا في جمل السياق من كلام الهدهد الى كلام الله عزَّ وجلَّ، من دون الفصل بين الكلامين.

ومما تجدر الإشارة إليه أن قراءة التشديد لا تعني سجود التلاوة في هذا الموضع، أما قراءة التخفيف فتعني السجود[١١٩]، كما ذهب إليه الكسائي[١٢٠]

ويبدو لي أن الراجح هو وجود الالتفات الدلالي في هذا السياق الكريم، والله أعلم.

الثاني: من قوله تعالى على لسان ملكة سبأ: چ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ى ى ي چ [١٢١].

فقد أجمع المفسرون على أن جملة (ى ى) ليست من كلام بلقيس –ملكة سبأ– بل هي من كلام الله – عز وجل– وصلت بكلام بلقيس[١٢٢]؛ حتى التبس وأصبح وكأنه من كلامها، وهو ليس من كلامها، بل وصلت على طريقة الالتفات الدلالي في جمل مقول القول، والوصل في اللفظ، والفصل في المعنى؛ لأن القائل مختلف.

قال ابن عباس – رضي الله عنهما– (قالت بلقيس(إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة)، قال الرب عزَّ وجلَّ(وكذلك يفعلون)) [١٢٣]، أي صدقها الله –سبحانه– فيما قالت، أي مثل ذلك الفعل يفعلون[١٢٤]. أو أنه من قول الله تعالى معرفاً لمحمد ﷺ وأمته ومخبراً به[١٢٥].

لذلك قال ابن الانباري : (الوقف على قوله (وجعلوا أعزة أهلها أذلة) وقف تام[١٢٦]، فقال الله عز وجل تحقيقاً لقولها(وكذلك يفعلون)) [١٢٧].

وقيل: إنَّ الجملة من قول بلقيس وجاءت تأكيداً لما وصفت به حالهم وتقريراً لهم بطريق الاعتراض التذييلي[١٢٨]، أي هو عادة الملوك المستمرة وذكرت ذلك تأكيداً لما ذكرت من حال الملوك[١٢٩].

وقيل أن هذه الجملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب، ثم لما قدمت لهم هذه المقدمة وبينت لهم ما في دخول الملك إلى أرضهم من المفسدة؛ أوضحت لهم وجه الرأي عندها، وصرحت لهم بصوابهِ[١٣٠].

ومهما يكن من أمر فإنَّ الاعتراض والاستئناف يمكن أن يكون ضمن الالتفات الدلالي للجمل؛ لأنه يلفت الانتباه إلى معنى آخر وربما إلى متكلم آخر جاء ضمن السياق ولاسيما في سياق القصة القرآنية.

ويبدو لي من كلام جمهور المفسرين أن جملة (وكذلك يفعلون) ليست من قول الملكة، بل هي من قول الله عز وجل جاءت ضمن جمل مقول القول على طريق الالتفات الدلالي في الجملة. وجاءت تصديقاً وتأكيداً لكلامها وإعلاماً للرسول ﷺ وأمته وإخباراً لهم عن الملوك إذا تغلبوا، ثم يعود السياق مرة أخرى يحكي كلامها في قوله چ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ چ .

الخاتمة

ومن خلال ما مرَّ بنا في هذا البحث، نستطيع أن نقول إنَّ القرآن قد انفرد في مثل هذا النوع من الالتفات الدلالي للجملة القرآنية، وما نتج عنه من تغير أو تنوع دلالي تميزت من خلاله مدلولات دقيقة جداً ،على خلاف ظاهر اللفظ وعلى خلاف المتوقع من القارئ أو المتلقي. فللقرآن مكانة خاصة في إيصال المعاني وتمكينها من نفس المتلقي وبصور عديدة عبر تطويع كل إمكانات اللغة المتاحة لهذا الغرض، وقد أضاف إمكانات كبيرة للغة بالمفهوم الجمالي والتركيبي، مع استحداث طرائق فنية عديدة؛ للربط بين المفردات والجمل وبين الجمل والعبارات في السياق نفسه أو في السياقات المختلفة؛ مؤدياً بذلك دلالات اتسمت بالتنوع والكثرة بما يتلاءم وأغراضه عامة، و ما يتصل بالقصة ومقاصدها خاصة.

ولا شك أن دراسة المعنى أو الدلالة في النص القرآني قد أخذت حيزاً كبيراً من اهتمام الدارسين قديماً وحديثاً. ولكن مع ذلك يبقى النص القرآني معيناً لا ينضب لكلِّ ما هو جديد في مجال البحث والدراسة.

ومن خلال استعراض دلالة الجملة في السياق القرآني، نلحظ أن هناك جملاً يمكن فهم دلالتها بصورة مباشرة لا تحتاج من القارئ إلى مزيد إعمال فكر وتدبر أو إلى تأويلات بعيدة أو حتى الرجوع إلى سياقها الذي تنتمي إليه، بل ولا تتغير دلالتها في جميع سياقاتها، كما في جملة قوله تعالى:چ□ □ □ □ □ □ □چ [١٣١]فهذه الجملة ذات دلالة واضحة وبسيطة على الرغم من أنها تعالج أهم موضوع خُلق الإنسان لأجله؛ وبُعث الرسل لتبليغه ألا وهو توحيد العبادة لله، ففي مثل هذه المواضع والدلالات لا يخاطب الخالق – عز وجل– الناس بالرموز أو الإشارات أو بأي نوع من أنواع الغموض.

وإنَّ هناك جملاً تحتاج من القارئ لمعرفة دلالتها إلى الرجوع إلى سياقاتها لمعرفة المقصود منها فهي مكملة لما قبلها أو ما بعدها، كما في قوله تعالى – على سبيل المثال– چ ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ ڀ چ [١٣٢]، فلا يمكن أن تعرف المقصود بـ(الهاء) في (يعرفونه) إلا بالرجوع إلى السياق؛ فنعلم أن المقصود بالهاء هو النبي محمد عليه الصلاة والسلام.

وفي هذا البحث توصلنا إلى أن هناك جملاً لا يمكن معرفة دلالتها أو المقصود فيها أو قائلها – ولاسيما في أسلوب القصة القرآنية– حتى بالرجوع إلى سياقاتها؛ وذلك لخروج الجملة فيها عن مقتضى الظاهر، أو ما يدعى أسلوبياً بخروج ظاهر اللفظ عن معناه؛ فنحتاج إلى الرجوع معها إلى آراء العلماء والمفسرين فضلاً عن إعمال عقل المتلقي في التفكير بقائلها – وهي مع ذلك واضحة الدلالة– إذ إنها لم تفصل عن تاليتها؛ لإيضاح قائلها أو المقصود منها؛ فيغدو المتلقي بذلك طرفاً ثالثاً في القصة أو الحوار، ويتمتع بفاعلية تأثيرية في محاكمة العقل في معاني الجمل، وفي الاستمتاع بجمالياتها. وقد بيّنّا في مواضع الالتفات الدلالي في الأمثلة التي عرضناها في سياق القصة القرآنية. يضاف إلى ذلك أنه يمكن أن تتعدد أو تتنوع الدلالة للجملة القرآنية تبعاً للقراءة القرآنية؛ فإذا تعددت القراءة القرآنية تنوعت الدلالة، ويمكن أن يتغير الحكم الشرعي تبعاً لذلك، كما نلحظ في سياق قصة الهدهد مع نبي الله سليمان عليه السلام.

هذا ما يسره الله في هذه الدراسة التي حرصت فيها كلَّ الحرص أن أكون دقيقاً في نقل الآراء والتأويلات؛ لأنَ بين يدي نص ليس كسائر النصوص الأخرى، فهو نص قرآني لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. زيادة على ترجيح ما أراه صحيحاً معتمَداً من المفسرين الذين يسيرون على آثار السلف الصالح رضي الله عنهم أجمعين.

والله أسأل أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن يعلمنا ما جهلنا ،وأن ينفعنا بما علّمنا ،وأن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه .

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

الهوامش

(١) ينظر: البيان في روائع القرآن : ٥٦٠-٥٦٢.

(٢) الالتفات في اصطلاح البلاغيين هو التحول عن معنى إلى آخر أو عن ضميره إلى غيره أو عن أسلوب إلى آخر، ويدور معناه في اللغة حول الانصراف عن الشيء. ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: ٤٨-٥٠.

(٣) وصور الالتفات عند الجمهور هي التحول عن التكلم إلى الخطاب أو إلى الغيبة، والتحول عن الخطاب إلى التكلم أو الغيبة، وكذلك التحول عن الغيبة إلى التكلم أو إلى الخطاب والشرط اللازم لتحقق الالتفات – في أي من هذه الحالات الست–أن يعود الضمير إلى واحد.

كما يعد من الالتفات الأخبار عن المؤنث بالمذكر، والإخبار عن المذكر بالمؤنث، والتحول عن المؤنث إلى المذكر،و الانصراف عن المفرد إلى المثنى أو إلى الجمع ،وكذلك التعبير عن المثنى بالمفرد، والتعبير عن المفرد بالمثنى. ومنه أيضاً الإخبار عن الماضي بصيغة المضارع أو الأخبار عن المستقبل بصيغة الماضي. ينظر: البرهان في علوم القرآن :٣/٣١٥-٣١٦. وخصائص التراكيب: ٣٥١-٣٦٢.

(٤) الأسلوبية– مدخل نظري ودراسة تطبيقية: ٢٢٤.

(٥) ينظر: تأويل مشكل القرآن :٦٢.

(٦) البقرة: ٢٤٧ -٢٥١

(٧) أو شموئيل

(٨) رجل سقام وامرأة سقام أيضاً: أي كثير السقم لا يكاد يبرأ. ينظر: لسان العرب، مادة(سقم): ١٢/٢٨٨.

(٩) وقيل بل خرج طالوت إليه فوجد الوادي قد سال بينه وبين الزريبة التي كان يريح إليها، فوجده يحمل شاتين يجيز بهما السيل ،ولا يخوض يهما الماء؛ فلما رآه، قال: هذا هو لا شك فيه؛ هذا يرحم البهائم فهو بالناس أرحم. ينظر: تفسير البغوي: ١/٣٠٤.

(١٠) ينظر: تفسير الطبري: ٤/٥٠١-٥٠٢ و تفسير البغوي : ١/٣٠٣ والبحر المحيط:٢/٢٧٧ و تفسير أبي السعود:١/٢٤٤ و تفسير الخازن: ١/٢٦١ والتحرير والتنوير: ٢/٤٩٨-٥٠٠.

(١١) ينظر: تفسير ابن كثير: ٢/٤٢٥-٤٢٦.

(١٢) سورة البقرة : من الآية ٢٥٢.

(١٣) سورة البقرة : من الآية ٢٥٢.

(١٤) سورة البقرة : من الآية ٢٥٢.

(١٥) سورة يوسف : ١٩ – ٢٠

(١٦) أي أعلموه أن الذئب قد أكل يوسف.

(١٧) المحرر الوجيز: ٣/٢٤٠.

(١٨) ينظر: تفسير الطبري: ١٣/٤٩.

(١٩) وقال مجاهد: الضمير في (ل) لأصحاب الدلو وفي (٨) لإخوة يوسف الأحد عشر، وقاله السدي ورجّحه ابن جرير. ينظر: تفسير الطبري: ١٣/٤٩، والكشاف: ٥٠٨، والمحرر الوجيز: ٣/٢٤٠، و تفسير ابن كثير: ٨/٢٢ و تفسير الخازن: ٣/٢٧٠.

(٢٠) تفسير ابن كثير: ٨/٢٣. وينظر: البحر المحيط:٥/٢٩١، و تفسير أبي السعود:٤/٢٦١، وفتح القدير: ٣/١٨.

(٢١) ينظر: تفسير ابن كثير: ٨/٢٣.

(٢٢) ينظر: تفسير البغوي: ٤/٢٢٥،و المحرر الوجيز: ٣/٤٠ ، والكشف والبيان: ٥/٢٠٤.

(٢٣) ينظر: المحرر الوجيز: ٣/٤٠ وتفسير أبي السعود: ٤/٢٦١.

(٢٤) سورة يوسف:٤٢.

(٢٥) تفسير الطبري: ١٣/١٧٢ . وينظر: تفسير ابن كثير: ٤/٣١٧.

(٢٦) يقول ابن كثير: وهذا الحديث ضعيف جدا وقد روي عن الحسن وقتادة مرسلاً عن كل منهما، وهذه المرسلات لا تقبل.تفسير ابن كثير:٤/٣١٧ . ينظر: سلسلة الاحاديث الصحيحة، الشيخ الالباني: ٧–٤٥٥–٤٥٦، تحت رقم ١٨٧٦

(٢٧) قال القاسمي: وأما ما رواه ابن جرير عن ابن عباس مرفوعاً: (لو لم يقل– يعني يوسف– الكلمة التي قال ما لبث في السجن طول ما لبث، حيث يبتغي الفرج من عند غير الله تعالى)،قال الحافظ ابن كثير: ضعيف جداً وذكر من رجاله الضعفاء راويين سماهما ثم قال وروي أيضاً مرسلاً عن الحسن وقتادة، قال: وهذه المرسلات ها هنا لا تقبل، لو قبل المرسل من حيث هو في غير هذا الموطن– والله أعلم– انتهى. ولقد أجاد وأفاد رحمه الله. تفسير القاسمي: ٦/١٧٩.

(٢٨) تفسير الطبري: ٣/١٧٢–١٧٣.

(٢٩) ينظر: تفسير الطبري: ١٣/١٧٣ و تفسير البغوي: ٤/٢٤٤ و تفسير الخازن: ٣/٢٨٦ ، وهناك روايات وإسرائيليات أخرى لا يمكن تصديقها. ينظر: تفسير الخازن: ٣/٢٨٦–٣٨٧.

(٣٠) ينظر: تفسير البغوي: ١٢/٤٢٨.

(٣١) ينظر: البحر المحيط: ٥/٣١٠.

(٣٢) ينظر: تفسير أبي السعود: ٤/٢٨٠.
(٣٣) ينظر: تفسير ابن كثير: ٨/٤٥.
(٣٤) ينظر: فتح القدير: ٣/٤٢.
(٣٥) سورة يوسف من الآية: ٤٥
(٣٦) التفسير الكبير: ابن تيمية : ٥/٥٥ وينظر: فتح القدير: ٣/٤٢.
(٣٧) والذين قالوا ذلك القول،قالوا:كان الأولى أن يتوكل على الله، ولا يقول اذكرني عند ربك. فلما نسي أن يتوكل على ربه جوزي بلبثه في السجن بضع سنين،فيقال :لبس في قوله : (اذكرني عند ربك)، ما يناقض التوكل؛لأن الله قد شهد له بأبه من عباده المخلصين، والمخلص لا يكون مخلصا مع توكله على غير الله، فإن ذلك شرك، ويوسف لم يكن مشركا لا في عبادته ولا توكله، وليس في قول يوسف(اذكرني عند ربك) إلا مجرد إخبار الملك به ؛ ليعلم حاله ليتبين الحق؛ ويوسف كان من أثبت الناس.ينظر التفسير الكبير: ابن تيمية :٥/٥٦-٥٧.
(٣٨) وقال بعض العلماء: لو أن الشيطان أنسى يوسف ذكر الله لما استحق العقاب باللبث في السجن إذ الناسي غير مؤاخذ. ينظر: فتح القدير:٣/٤٢،و اللباب في علوم الكتاب:١١/١٠٩.
(٣٩) تفسير الخازن:٣/ ٢٨٥، وينظر البغوي:٤/٢٤٣.
(٤٠) سورة آل عمران المائدة من الآية: ٥٢.
(٤١) ينظر: البحر المحيط: ٥/٣١٠ .
(٤٢) سورة المائدة من الآية:٢.
(٤٣) سورة المائدة من الآية:٢.
(٤٤) جزء من حديث رواه مسلم وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه،صحيح مسلم:٨/٧١،رقم الحديث:٧٠٢٨.
(٤٥) تفسير القاسمي: ٦/١٧٩.
(٤٦) وقد ورد هذا الالتفات في غير القصة القرآنية، وذلك في قوله تعالى(وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاء إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)(النور:٣٤) إذ رجح أهل التفسير من السلف مثل ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة والسدي وغيرهم أن الله غفور رحيم للمكرهات وليس للمكرِهين . ولمزيد من التفصيل؛ ينظر:تفسير الطبري:١٧/٢٩٣-٢٩٤والبحر المحيط:٦/٤١٤وتفسير ابن كثير:١٠/٢٣٣.
(٤٧) سورة مريم: ٢٤.
(٤٨) سورة مريم: ٢٢.
(٤٩) سورة مريم: ٢٧.

(٥٠) ينظر: تفسير الطبري: ٥٠٣/١٥، وتفسير البغوي: ٢٢٦/٥، والكشاف: ٦٣٥، والبحر المحيط: ١٧٣/٦، و تفسير ابن كثير: ٢٣٣/٨-٢٣٤، و تفسير القاسمي: ٩١/٧، وأضواء البيان:٣٩٣/٣.

(٥١) ينظر: تفسير البغوي: ٢٢٦/٥، و تفسير أبي السعود: ٢٦٢/٥.

(٥٢) البحر المحيط:١٧٣/٦.

(٥٣) المحرر الوجيز: ١٣/٤ واللباب في علوم الكتاب: ٤٤/١٣.

(٥٤) ينظر: تفسير الطبري: ٥٠٣/١٥، والبحر المحيط: ١٧٣/٦، و تفسير ابن كثير: ٢٣٤/٨، والتحرير والتنوير: ٧٦/١٢-٧٧.

(٥٥) ومنهم من وجه المراد بالضمير في (فناداها) متبعاً قراءة (من تحتها)، فالذي قرأ بفتح الميم والتاء (مَنْ تَحتَها) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وأبي بكر عن عاصم، قال المراد به عيسى عليه السلام. وأما من قرأ بكسر الميم والتاء في(مِن تحتِها) وهي قراءة نافع وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم أيضا، قال إن المراد هو الملك جبريل عليه السلام. ينظر: المحرر الوجيز: ١٣/٤، وزاد المسير: ٢٢١/٥، واللباب في علوم الكتاب: ٤٤/١٣، والكشف والبيان: ٢١١/٦، وأضواء البيان: ٣٩٣/٣

وقال ابن عباس: (كل ما رفعت إليه طرفك فهو فوقك وكل ما خفضت إليه طرفك فهو تحتك).زاد المسير:٢٢١/٥.

وقال الفراء:(ما خاطبها إلا الملك على القراءتين جميعا). معاني القرآن:١١٦/٣.

(٥٦) سورة مريم من الآية:٢٩.

(٥٧) ينظر: تفسير الطبري: ٥٠٣/١٥، تفسير البغوي: ٢٢٦/٥، والبحر المحيط: ١٧٣/٦.

(٥٨) وإذا قالت حذام فصدقوها فالقول ما قالت حذام.

(٥٩) وقيل ان جبريل عليه السلام كان يقبل الولد كالقابلة. ينظر: الكشاف: ٦٣٥، والبحر المحيط: ١٧٣/٦.

(٦٠) سورة التوبة من الآية: ١٠٠

(٦١) ينظر: تفسير البغوي: ٢٢٦/٥، والكشاف: ٦٣٥، و تفسير القرطبي:٩٤/١١،وابن كثير: ٢٣٤/٨، و تفسير أبي السعود: ٥/ ٢٦٢، وفتح القدير: ٣/ ٤٦٩ ،و تفسير القاسمي: ٩١/٧.

(٦٢) سورة آل عمران: ٤٥.

(٦٣) سورة الأعراف: ١٠٩-١١١.

(٦٤) وهو قول عامة المفسرين. ينظر: تفسير الطبري: ٣٤٨/١٠، و تفسير البغوي: ٦٣/٣، و تفسير ابن كثير: ٣٦١/٦، و تفسير أبي السعود: ٢٥٩/٣، و تفسير القاسمي: ١٦٤/٥، وغيرهم.

(٦٥) ينظر: تفسير الخازن: ٢٧٠/٢.

(٦٦) وهذه الجملة في الأصل من كلام فرعون كما في قوله تعالى : چ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ چ [الشعراء:٣٥] وعُزيت هنا للملأ، أو أنه قالها ابتداءً فتلقته منه الملأ فقالوه لأعقابهم، أو قالوه عنه للناس على طريق التبليغ كما يفعل الملوك، يرى الواحد منهم الرأي فيكلم من يليهِ من الخاصة ِأو الحاشية ِثم يبلغ بعد ذلك للعامة من الناس. ينظر: الكشاف: ٣٧٨.

(٦٧) سورة المؤمنون من الآية: ٩٩.

(٦٨) ينظر: البحر المحيط: ٣١٧/٥، والتحرير والتنوير: ٤٢/٩.

(٦٩) سورة الأعراف:٣٦.

(٧٠) ينظر: تفسير الخازن: ٢٧٠/٢،و تفسير أبي السعود: ٢٥٩/٣ ،وفتح القدير: ٣٣٦/٢،و تفسير القاسمي:١٦٤/٥.

(٧١) ينظر: فتح القدير:٥٠/٣، والكشف والبيان:٢٢٩/٥.

(٧٢) سورة الشعراء: ٣٤-٣٦.

(٧٣) سورة يوسف: ٥١ – ٥٢.

(٧٤) الكشف والبيان: ٢٢٩/٥، وينظر: زاد المسير: ٢٣٨/٤.

(٧٥) وهذا ما ذهب إليه ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة وابن أبي الهذيل والضحاك والحسن وقتادة والسدي ولم يحك غيره ابن جرير وابن أبي حاتم. ينظر: تفسير الطبري: ٤٣١/١٣، و تفسير البغوي: ٢٤٩/٤، والكشاف: ٥١٩، والمحرر الوجيز: ٢٦٣/٢، والخازن: ٢٨٩/٣، وتفسير ابن كثير: ٥٠/٨-٥١، و تفسير أبي السعود: ٢٨٥/٤، وفتح القدير: ٥٠/٣، و تفسير القاسمي: ١٨٦/٦-١٨٧، والتحرير والتنوير: ٢٩٢/١٢.

(٧٦) فتح القدير: ٥٠/٣.

(٧٧) وكان هذا الفعل من يوسف عليه السلام أناةً وصبراً وطلباً لبراءة ساحته؛ وذلك أنه خشي أن يخرج وينال من الملك مرتبة؛ ويسكت عن أمر ذنبه صفحاً؛ فيراه الناس بتلك العين أبداً، ويقولون هذا الذي راود امرأة مولاه؛ فأراد يوسف عليه السلام أن تبين براءته، وتتحقق منزلته من العفة والخير. ينظر: المحرر الوجيز: ٢٦١/٣، واللباب في علوم الكتاب: ١٢٥/١١.

(٧٨) وقيل في السياق تقديم وتأخير، معناه: ارجع إلى ربك فأساله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن إن ربي بكيدهن عليم ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب . ينظر: تفسير الطبري: ٤٣١/١٣، و تفسير البغوي: ٢٤٩/٤، والمحرر الوجيز: ٢٦٣/٣.

(٧٩) ينظر: تفسير الطبري: ٤٣١/١٣، و تفسير البغوي:٢٤٩/٤،والكشف والبيان:٢٢٩/٥..

(٨٠) ينظر: تفسير الخازن: ٢٨٩/٣.

(٨١) زاد المسير: ٢٤٠/٤.

(٨٢)تفسير الخازن: ٢٨٩/٣ ، وينظر: زاد المسير: ٢٣٨/٤.

(٨٣) قال ابن الخطيب: والأولى أنه صلوات الله وسلامه عليه إنما قال ذلك عند عود الرسول إليه؛ لأن ذكر هذا الكلام في حضرة الملك سوء أدب، والهاء في (أخنه) تعود على العزيز.(اللباب في علوم الكتاب: ١٢٩/١١).

(٨٤) تفسير أبي السعود: ٢٨٥/٤.

(٨٥) ينظر :البحر المحيط :٣١٦/٥.

(٨٦) وهم ابن تيمية وأبو حيان وابن كثير والقاسمي.

(٨٧) ينظر:فتح القدير:٥٠/٣.

(٨٨) البحر المحيط: ٣١٦/٥.

(٨٩) ونلحظ أن الذين ذهبوا إلى أن الكلام كله للمرأة، اختلفوا في مَن المقصود بكلامها في (ليعلم)، ففي حين ذهب أبو حيان والقاسمي إلى أن المقصود به هو يوسف عليه السلام، أي: ليعلم يوسف أني لم أخنه في غيبته والذب عنه. ذهب ابن تيمية وابن كثير إلى أن المقصود به هو زوجها العزيز، أي: إنما اعترفت بهذا ليعلم زوجي أني لم أخنه بالغيب في نفس الأمر، ولا وقع المحذور الأكبر.

(٩٠) تفسير ابن كثير: ٥٠/٨، وينظر: التفسير الكبير لابن تيمية: ٧٩/٥.

(٩١) ينظر: التفسير الكبير – ابن تيمية: ٧٨/٥، والبحر المحيط: ٢٦٣/٥، و تفسير ابن كثير: ٥٠/٨، و تفسير القاسمي: ١٨٧/٦.

(٩٢) وهو قول جل المفسرين كما بينّا.

(٩٣) ينظر: الكشاف: ٥١٩، والبحر المحيط: ٣١٦/٥، وفتح القدير: ٥٠/٣.

(٩٤) سورة يوسف: ٥٣.

(٩٥) الكشاف: ٥٢٠، وينظر: البحر المحيط:٥/ ٣١٦.

(٩٦) تفسير ابن كثير: ٥٠/٨، وينظر: تفسير القاسمي: ١٨٦/٦.

(٩٧) ينظر: تفسير الطبري: ٢١٤/١٣، و تفسير البغوي: ٢٣١/٤، والمحرر الوجيز: ٢٦٣/٣، و تفسير الخازن: ٢٨٩/٣، والبحر المحيط: ٣١٦/٥، و تفسير أبي السعود: ٢٨٥/٤، وفتح القدير: ٥٠/٣، وغيرهم.

(٩٨) سورة النجم: ٣٢.

(٩٩) كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي أخرجه ابن ماجه (١٤٤٠/٢، رقم الحديث:٤٣٠٨) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: ((أنا سيد ولد آدم ولا فخر وأنا أول من تنشق الأرض عنه يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر، ولواء الحمد بيدي يوم القيامة ولا فخر))صححه الألباني في صحيح وضعيف ابن ماجة ٣٠٨/٩.

(١٠٠) تفسير الخازن: ٢٨٩/٣.

(١٠١) القصص: ١٨-١٩.

(١٠٢) وجدت أن هناك من يخالف ذلك من المفسرين وهما الشوكاني والقاسمي اللذان رجحا أن الجملة هي للقبطي، وليس للإسرائيلي؛ لأنه هو المراد بقوله (عدو لهما). ينظر: فتح القدير: ٢٣٤/٤، و تفسير القاسمي: ٥١٨/٧.

(١٠٣) زاد المسير: ٢٠٩/٦. وينظر: تفسير الطبري: ١٩٥/١٨-١٩٦، و تفسير البغوي: ١٩٨/٦، والمحرر الوجيز: ٣٣٢/٤، و تفسير القرطبي: ٢٥٩/١٣، و تفسير الخازن: ١٦٨/٥، والبحر المحيط: ١٠٦/٧، و تفسير ابن كثير: ٤٤٨/١٠، و تفسير أبي السعود: ٧/٧، وفتح القدير: ٢٣٤/٤، وغيرها.

(١٠٤) ينظر: تفسير الطبري: ١٩٦/١٨، والمحرر الوجيز: ٣٣٢/٤، و تفسير القرطبي: ٢٥٩/١٣

(١٠٥) وكان قتل موسى للقبطي قد خفي عن الناس واكتتم.

(١٠٦) ينظرك من بلاغة القرآن: ١٢٧.

(١٠٧) وقد ورد هذا الالتفات في عير القصة القرآنية، وذلك في قوله تعالى: چ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ چ(سورة يس:٥٢) ، فقد أجمع العلماء أن جملة قوله تعالى: (هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون) ليست من ضمن مقول القول(قالوا) أي:ليست من قول الكفار،بل هي قول الملائكة أو قول المؤمنين، على خلاف بين المفسرين.ينظر: تفسير البغوي:٢١/٧،والمحرر الوجيز:٢/ ٤٨١،و تفسير ابن كثير:٥٨٢/٦،والكشف والبيان:٣٤٣/٤.

(١٠٨) سورة النمل: ٢٢-٢٥.

(١٠٩) وقال أبو عبيد: هذا أمر من الله مستأنف، يعني يا أيها الناس اسجدوا ، تفسير البغوي: ١٥٧/٦.

(١١٠) ينظر: تفسير الطبري: ٤١/١٨، و تفسير البغوي: ١٥٧/٦، والبحر المحيط: ٦٧/٧، والكشف والبيان: ٢٠٣/٧.

(١١١) ينظر: اللباب في علوم الكتاب: ١٤١/١٥.

(١١٢)تفسير الطبري: ٤١/١٨.

(١١٣) الكشف والبيان: ٢٠٣/٣.

(١١٤) المحرر الوجيز:٣٠٥/٤.

(١١٥) التحرير والتنوير:٢٥٠/١٩.

(١١٦) سورة النمل من الآية ٢٥.

(١١٧) المحرر الوجيز: ٣٠٦/٤، والبحر المحيط: ٦٨/٧، واللباب في علوم الكتاب: ١٤٩/١٥.

(١١٨) تفسير الطبري: ٤١/١٨. وهو منقول عن ابن إسحاق أيضا، ينظر: الكشف والبيان: ٢٠٣/٧.

(١١٩) وهذا من المواضع المتواترة الثابتة عن الرسول – صلى الله عليه وسلم– من سجود التلاوة.

(١٢٠) ينظر:المحرر الوجيز:٣٠٥/٤

(١٢١) سورة النمل: ٣٤.

(١٢٢) ينظر: تفسير الطبري: ٥١/١٨، و تفسير البغوي: ١٦١/٦، و تفسير القرطبي: ١٩٥/١٣.

(١٢٣) تفسير الطبري: ٥١/١٨، و تفسير ابن كثير: ٤٠٥/١٠.

(١٢٤) ينظر: تفسير الطبري: ٤١/١٨، و تفسير البغوي: ١٦٠/٦ و تفسير القرطبي: ١٩٥/١٣ وغيرهم.

(١٢٥) ينظر: المحرر الوجيز: ٣٠٨/٤، و تفسير القرطبي: ١٩٥/١٣.

(١٢٦) والمقصود بالوقف التام، هو التوقف عليه في التلاوة حتى لا يوهم بأن الكلام كله لمتكلم واحد.

(١٢٧) فتح القدير: ١٩٦/٤.

(١٢٨) الاعتراض التذييلي: هو أن تأتي الجملة معترضة في نهاية الكلام.

(١٢٩) ينظر: البحر المحيط: ٧٠/٧، و تفسير أبي السعود: ٢٨٤/٦، و تفسير القاسمي: ٤٩١/٧.

(١٣٠) ينظر: فتح القدير: ١٩٦/٤.

(١٣١) سورة محمد من الآية:١٩.

(١٣٢) سورة البقرة من الآية:١٤٦.